

## مصير الجيل الكبير من الحكام في زمن إعادة تشكيل المنطقة

ناهض منير الرئيس

النائب عن مدينة غزة

لسنا - والعياذ بالله - ممن يسمونهم العدميين أي الذين يطلبون موقف الموت والفناء دونما نظر إلى الهدف والنتيجة المثمرة ، ولسنا - والحمد لله - من الذين يحبون الكلام البديل عن العمل والكلام الذي يتجاوز القدرة . ومع ذلك لا نملك إلا أن نرفع في وجه القيادات العربية سؤالنا الملح المكرر الذي لا يكف جميع الناس عن توجيهه : ألا تحسون إزاء الوضع الراهن بما يحسه سائر الناس في بلادكم من غضب وإهانة وتعاطف مع العراق الشقيق ؟ ألا ترون أن الناس تنتظر منكم شيئا ؟ ألا يوجد لديكم أي خيار حقا غير الصمت والانتظار حتى تقع الجريمة التي اكتفيتم بغسل يديكم منها ظاهرا ، وظللتكم مكتفين بالصمت حتى بعدما قال الأمريكيون إنكم تقولون في الظاهر شيئا وفي السر شيئا آخر ، وإنكم مشاركون في الحملة على العراق المشاركة المطلوبة إذ قدمتم للأمريكيين كل شيء يطلبونه دون قيد ولا شرط ؟ ألا تلاحظون أن أوروبا بدت أكثر منكم عروبة وإسلاما ؟ وهل مواهبكم الوحيدة هي مواهبكم في اختراع الذرائع ، وصياغة الحجج لكي تتملصوا من أي موقف غير موقف الصمت والانتظار ؟ وهل امتناع الممتنعين عن الموافقة على مؤتمر القمة الاستثنائي راجع إلى أنه ليس لديهم ما يقولونه ، أو إلى أن المؤتمر غير مفيد ، أو إلى أن العراق أصبح هو العدو الذي لا بد من إغاضته وإضعافه والشماتة فيه ؟

ليس مطلوبا من أحد أن يدخل معركة من أجل فلسطين ولا من أجل العراق . وليس مطلوبا من أحد أن يتصدى للقوات المسلحة الأمريكية والبريطانية . ولكن أوروبا التي هي الحليف الوثيق مع الولايات المتحدة وجدت شيئا تفعله دفاعا عن مصالحها في المنطقة وعن مكائنها في الساحة الدولية . لقد رفعت صوتها . وقد أنشأت كتلة دولية معارضة لانفراد

الولايات المتحدة بقرار الحرب . وقد تحملت الضغوط والشتائم بل والتهديدات . وكان من المؤلم والمخزي والمشين أن تبادر أوروبا للبحث عن العرب .. أين هم ؟ ولماذا لا يتحركون ؟ وما الذي يمكنهم أن يفعلوه ( تضامنا مع أوروبا وتقوية للكتلة المتضامنة مع المصالح التي تخص المنطقة في جميع الأحوال ) ؟

## بصقة كبيرة !

فماذا وجدت أوروبا ؟ وأي جواب تلقت من اجتماع وزراء الخارجية العرب ؟

إن المرء يستطيع أن يتخيل مشهد الأوروبيين الذين كانوا حاضري الاجتماع ، وتابعوا بفضول بالغ أولا ؛ ثم بخيبة أمل ثانيا ؛ ثم بقرف ثالثا ؛ ثم باحتقار رابعا ، ثم ببصقة كبيرة خامسا ، وقائع الخلاف والشجار والتراشق والحدرد التي حفل بها الاجتماع ، ولم يكن إعلان إلغاء مؤتمر القمة الاستثنائي فيما بعد غريبا عليهم .

أي بالغ راشد يستطيع أن يلتمس عذرا لأناس يهتز العالم بأسره من هول ما سيقع في منطقتهم ويخلف آثاره على شعوبهم بينما هم في شغل شاغل بحزازات صدورهم ، يمانئون الخصم الألد ويتكلمون بلسان حاله ويتجاهلون صفعاته على أقفيتهم ، ويلج بعضهم بعداوة بعض لجاجا شرسا ويؤلبون على قريبهم ويتجاهلون روابط القومية والدين والتاريخ معه ؟

ومؤكد أن الأجانب لا ينظرون إلى الموقف من زاوية السقوط الأخلاقي أو الخذلان القومي الذي ينطوي عليه موقف القياديين العرب ، وإنما ينظرون من زاوية العقل والرشد والمنطق السليم . ما لهؤلاء الأغبياء ( هكذا يقولون في أنفسهم ) ؟ كيف لا يقدرّون الموقف الحرج الذي أصبحوا رهنا له ؟ لماذا لا يحسبون الخسائر والمغارم التي سيتكبدونها إذا انفرد الأمريكيون بهم واحدا واحدا ؟ كيف لا يتوفر لديهم مفهوم لأمن منطقتهم ولا حرص على ثرواتها الاستراتيجية ؟

بالعقل والمنطق والرشاد أقامت الدول الأوروبية بقيادة ديجول وأديناور نواة وحدة أوروبية ما لبثت أن أصبحت اتحادا فعالا . بالعقل

والمنطق والرشاد تركوا وراءهم ماضيا مليئا بالنزاعات والحروب والعداوات والثارات ، لم تكن الحرب العالمية الثانية آخر اشتباكاتة المروعة . وبالعقل والمنطق والرشاد وجهوا أنظارهم نحو تحديات منافسة تواجههم من الدول التي تشكل كل منها قارة ، ومن الولايات المتحدة على نحو خاص ، فراحوا يفكرون ويخططون ويتحركون سويا رغم أنف الولايات المتحدة التي لا يستهان بنفوذها ، حتى فرضوا وزن كتلتهم عليها وعلى غيرها .

## زمن المسوخ والأقزام

كان ذلك بفضل رجال الدولة الكبار .. الكبار بأحلامهم وبأفكارهم وبالآفاق التي يفتحونها لبلدانهم .. والكبار أيضا باكتشافهم نقلة الزمان وما تستوجبه من سياسات وتطوير وتغيير . فمن لنا برجال دولة على هذا الغرار في زمن المسوخ والأقزام ؟

لقد تغيرت الأحوال تغيرا هائلا فيما يخص منطقتنا ! ولكن ردود أفعال القيادات العربية تفصح عن عجز في فهم المستجدات بالإضافة إلى العجز عن الفعل . وما زالت القيادات تركز إلى نمط في الفهم والتصور يقول إن الأمريكيين يريدون استقرار المنطقة لكي يضمنوا تدفق إمدادات النفط ، وإن الأنظمة القائمة في المنطقة هي أعمدة ذلك الاستقرار ، ولذا فإنها ( الأنظمة ) محروسة ولا خوف عليها ، فكل ما هو مطلوب منها أن تتصرف بعقل وأن تحرص على إبداء الولاء . وسيكون كل شيء على ما يرام .

لا يهتم الأمن القومي ما دام أمن الكرسي مضمونا . ولا يمكن المغامرة بإغضاب الأمريكيين والإسرائيليين لأنهم قادرون على صناعة الانقلابات والاعتيالات . ولا قلق على الاقتصاد الوطني ما دام رصيد حساب الحاكم في بنوك الغرب في أمان وفي ازدياد .

لكن التغيير الذي نتحدث عنه قلب هذه المعادلات إلى حد بعيد . فالأمريكيون الذين يفهمون صفتهم في المنطقة على أنها صفة المستعمر المستثمر المعني بنهب المنطقة حتى آخر قطرة نفط ، معنيون بفرض السياسات الملائمة لهذه ( المصلحة ) كما يدعونها . وكولن باويل لم يدع الأمر غامضا حول طبيعة الشيء الذي ستقوم أمريكا بفعله . فقد قال

بالصوت العالي ، وبالقلم العريض ، علنا ، على رؤوس الأشهاد ، دون تورية ولا كناية إنه ( إعادة تشكيل المنطقة ) . وجدير بالذكر أن ما قاله كولن باويل ليس من ( إبداعات ) إدارة بوش وحدها ، بل هو ( مخطط ) أمريكي سبق لجورج تينيت مدير السي آي إيه أن أفصح عنه منذ عهد كلينتون . لكن إدارة بوش هي الأكثر حماسة وتشددا وسرعة في تنفيذه .

من هنا فإن موقف الإدارة الأمريكية حيال الحكام والقادة تطور تطورا ربما ظل مضمرا بعض الوقت ثم صار مفضوحا مع بروز نظرية ( إعادة التشكيل ) . ووفقا لهذا التطور لا يكفي أن يكون الحاكم مواليا مطواعا ، ولكنه يجب أن يكون متكيفا مع غايات إعادة التشكيل . أي يجب أن يكون مستعدا للمضي في مخططات تقسيم وطنه موافقا على تلقي أجرته في لاحقا ، وهي الجلوس على سدة الحكم في واحدة من القطع التي كانت بالأمس هي الوطن .

### من أجل امبراطورية إسرائيل

وما يدعى بلقنة العراق ، أي تقسيم أراضيه على طوائف بقدر الإمكان يمكن أن يكون مضمرا للبلاد العربية الأخرى . فتنصيب الشرازم على الشظايا يضمن بقاء الشرازم شرازم والشظايا شظايا ، ويزرع في الوضع بذرة العداوات المحلية التي يسهل جعلها حربا ضروسا في أي وقت وبذلك يسهل إحداث الاستنزاف الذاتي على المدى الطويل وتبقى إسرائيل في عافية ، امبراطورية اقتصادية ومالية على المدى القصير ، ثم امبراطورية من الفرات إلى النيل إلى المدينة المنورة على المدى الأبعد .

من الملاحظ أيضا أن أسلوب السي آي إيه في انتقاء صنائع أمريكا ينصب على اختيار شبان صغار السن نسبيا ، لأن هذا النمط من الصغار مجرد من الخبرة والتجربة ، خفيف الرأس . ثم لأن أمريكا لا تريد أن تشغل كل ساعة بهم ترتيب مناطق نفوذها كلما مات حاكم عجوز . ولذا فالأمريكيون قد يرغبون في الأوقات المناسبة لهم بتغيير الحاكم الذي لا غبار لديهم على ولائه ومطواعيته لمجرد أنه عجوز بعض الشيء وأن

الفرصة متوفرة لتنصيب بديل أكثر شبابا وبراعماتية أي أن دماغه خال من المبدأ ومن الخبرة معا . وكل ما لديه ذكاء وطموح وتهالك على السلطة .

وهناك طوفان من المعلومات التي تتسرب في الإعلام الأمريكي عن مشاريع الانتقال من ضرب بلد في المنطقة إلى البلد الآخر ، ومن تقسيم بلد إلى تقسيم الآخر . وتحت شعار مكافحة الإرهاب لمدة عشر سنوات متواصلة تجهز في غرف العمليات ملفات لغزو إيران وسوريا والسعودية بعد العراق . وتستأجر العقارات لإقامة قياديين أمريكيين مدة عشر سنوات في الخليج .

وقد يقسمون الجزائر في بادئ الأمر ثم يكررون استنزاف الدول المغاربية الأخرى ومجتمعاتها ، ما بين عرب وأمازيغ وما بين إسلاميين وعلمانيين . وقد تكون الأولوية للسودان ما بين شمال وجنوب ..

احتمالات عديدة تتوفر لها الفرص للعصف بالأوطان . وعلى القياديين أن يفهموا أن العصف بالأوطان يستتبع العصف بالأنظمة والقادة . وعليهم أن يدافعوا عن أنفسهم وكراسيهم على أقل تقدير . وليتذكروا أن المعتمد بن عباد الذي مثل انحلال الدولة الأندلسية ، لم يتخلف عن سل سيفه عندما وجد نفسه مضطرا للقتال . وأنتم مدعوون ، لا إلى سل السيوف ، ولكن فقط إلى الاجتماع معا في مكان واحد وقول كلمة لا التي قالها عشرة ملايين أوروبي في عواصم بلادهم . أخزى الله الذين لا يستحون !

